



جهود المحدثين الإمامية في توثيق النصوص الروائيّة

الأستاذ المتمرّس الأول د. محمد حسين علي الصغير

عبد الحكيم عدنان عبد الحكيم الصافيّ

المُلخَص

يتناول البحث تعريف المحدث في اللغة والاصطلاح، وبعدها يتطرق إلى عدّة نقاط من شأنها توثيق النصوص الحديثيّة وضبطها، منها: الكتابة، والخط، وأثرهما في حفظ النصوص الروائيّة، والإسناد والرحلة في طلب الحديث، وعلوّ الإسناد، وغيرها من الأساليب التي اتّبعها المحدثون في المحافظة على النصوص الروائيّة من التزوير، والتغيير، والتصحيف، والتحريف، وما إلى ذلك.

Summary

The research deals with the definition of the updater in the language and terminology, and then touches on several points that document the modern texts and adjust them, including writing and calligraphy and their impact on the preservation of narrative texts and attribution and the journey in the request of the Hadith and high attribution and other methods followed by the modernists in the province On the fictional texts of forgery, change, correction, distortion and so on

المقدمة

الحمد لله الذي وصل المنقطعين إليه بـ(سلسلة) أفضاله، وأسبغهم بـ(متواتر) آلائه، و(مستفيض) نعمائه، (الكافي) عبده^(١)، و(الصادق) وعده^(٢)، والصلاة والسلام على أشرف الخلق، المصطفى الأجدد أبي القاسم محمد، وعلى آله الميامين، الغر المحجلين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

أما بعد: فإن أهمية هذا البحث تكمن في النتائج الخطيرة المترتبة عليه، إذ نتساءل عن الجهود التي بذلها المحدثون في حفظ التراث الروائي للمعصومين صلوات الله عليهم ومقدارها؟، وهل كانت كافية لغرض رعاية النصوص الحديثية وضبطها على وفق ما صدرت منهم سلام الله عليهم من دون الإخلال بذلك؟، وهل من الممكن الركون إلى الكتب الروائية التي وصلتنا عن أئمة الحديث أم أنها تعرّضت للخلط، والدس، والتصحيف، والتحرّيف، وما إلى ذلك من حوادث الزمان؟، أم إنّ تلك الجهود في البحث والاستقصاء، والدقّة والتحرّي، تُورث الاطمئنان والسكون إليها بعدم حصول ذلك.

وللإجابة عن هذه التساؤلات اقتضى الخوض في هذا البحث المشتمل في مبحثه الأوّل على تعريف المحدث في اللغة والاصطلاح.

أمّا المبحث الثاني فتناول عدّة نقاط منها: الكتابة والخط وأثرهما في حفظ النصوص، والإسناد وعلاقته بتوثيق النصوص، وكذلك الرحلة في طلب الحديث وعلوّ الإسناد وأثرهما في ضبط النص الحديثي، والأساليب التي اتّبعتها المحدثون في

المحافظة على المتون الروائية وسندها من التصحيف والتحريف والدس، وغيرها من الأمور التي تصرف كلام المعصوم عن المعنى الذي قصده عليه السلام، وبيان مقدار الاهتمام بسماع الحديث وحفظه ونقله وتدوينه، وأخيراً التورّع في رواية الأحاديث والتثبت في نقلها، ومن خلال طيّات البحث يتّضح بيان مقدار ما بذله علماؤنا الأبرار من السعي الحثيث في الحفاظ على متن الحديث، من عدمه، هذا ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

المبحث الأول

المحدث في اللغة والاصطلاح

أولاً: المحدث لغةً: حدث يحدث حديثاً، أحدث الشيء واستحدثه، ويقال: استحدث الأمير قرية وقناة، وأيضاً استحدثوا منه خبراً، أي: استفادوا منه خبراً جديداً، ومنه حدّثه بكذا، وتحدّثوا به، وهو يتحدّث إلى فلانة وحادث صاحبه، وحسن الحديث، ويقال: سمعت منه أحدى مليحة، وله أحاديث ملاح، وهذه حديثي حسنة مثل خطيبي^(٣)، ويقال: صار فلان أحدى، ويُراد منه: كثّروا فيه الأحاديث، ورجل حدث: كثير الأحاديث^(٤)، والحديث: هو الخبر، ويطلق على الكثير والقليل، ويُجمع أحاديث، والحدوث كون الشيء لم يكن، وحدث أمر، أي: وقع^(٥)، ويُقال: رجل محدّث بمعنى كثير الرواية^(٦).

ثانياً: المحدث اصطلاحاً: هو من عرف الأسانيد والعلل وأسماء الرجال، والعالي والنازل، وما شابه ذلك، وحفظ جملة وافرة من الأحاديث والمتون^(٧)، وهذا هو الراوي الذي كثر الاعتناء بمروياته وأسانيده، ويدخل في اصطلاح الفقهاء وعلماء الدراية المتأخّرين كل علماء الحديث، ولو كانوا لا يروون شيئاً من الحديث بإسناده^(٨)، وعرفه الشيخ المامقاني: (مَنْ عَلِمَ طرق إثبات الحديث، وأسماء رواته وعدالته، وأنه هل زيد في الحديث شيء أو نقص أم لا)^(٩).

ويُنقل عن الشيخ فتح الدين بن سيّد الناس قوله: (إنّ المحدث في عصرنا هو من اشتغل بالحديث رواية ودراية وكتابة، واطّلع على كثير من الرواة والروايات في عصره، وتبسّر بذلك حتى حفظه واشتهر فيه ضبطه، فإن انبسط في ذلك وعرف أحوال من تقدّم شيوخته، وشيوخ شيوختهم، طبقة طبقة، بحيث تكون السلامة من

الوهم في المشهورين غالبية، ويكون ما يعلمه من أحوال الرواة كل طبقة أكثر مما يجله
فهذا حافظ، وأمّا ما نقل عن المتقدّمين في ذلك من سعة الحفظ فيمن يسمّى حافظاً،
والدأب في الطلب الذي لا يستحق الطالب أن يطلق عليه محدّث إلا به، كما قال
بعضهم: كنّا لا نعد صاحب حديث من لم يكتب عشرين ألف حديث إملاء، فذلك
بحسب أزمنتهم^(١٠).

المبحث الثاني

توثيق النصوص عند المحدثين

أولاً: الكتابة والخط وأثرهما في توثيق النصوص.

من الأمور المهمة التي ينبغي التوقف عندها هي الكتابة والخط، لما لهما من أثر بالغ في توثيق النص وحفظه، فالكتابة الواضحة تبعد الالتباس والاشتباه عن النص، وأمّا غير الواضحة توقع في الاشتباه والتوهم ممّا يؤدي إلى نتائج أبعد ما تكون عن مراد النص ومراد المعصوم (ع)، لأنّها توصل إلى فهم خاطئ، ومن هنا تكمن أهميّة الكتابة والخط كونها تنقل نصّاً مقدّساً يتوقف عليه الكثير من شؤون الأمة وأحكامها، لذا فقد تنبّه المحدثون إلى ذلك واعتنوا بالكتابة والخط، وبيان ذلك في النقاط الآتية:

أ- توضيح الكتابة وتحسين الخط:

لقد أكّد النبي الأكرم ص وأهل بيته (ع) على الاهتمام بالكتابة وتدوين الحديث وجمعه، - والنصوص على ذلك كثيرة - ليكون المصدر الذي يرجع إليه، والكتاب المضبوط الذي يُعتمد عليه، عن أبي عبد الله (ع) قال: (القلب يتكل على الكتابة)^(١١)، فقد ينسى الحافظ ما حفظه عن ظهر الغيب فيتحتّم عليه الرجوع إلى كتابه، فكلما كانت الكتابة واضحة فإنّه يسهل الرجوع إليها، ويكره الكتابة بالخط الدقيق من غير مبرّر لذلك؛ لأنّه يؤدي إلى صعوبة في القراءة أو عدم وضوحها لضعف البصر، أو نفس الكاتب في حال ما لوضعف بصره، وقد نقل عن أحمد بن حنبل أنّه قال لأبن أخيه حنبل بن اسحاق وقد رآه يكتب خطأً دقيقاً: (لا تفعل أحوج ما تكون إليه يخونك)^(١٢)، ولذا قالوا: (يستحب إبانة الخط وتحقيقه، دون مشقه وتعلّيقه، والمشق: خفة اليد، وإرسالها مع تغيير الحروف وعدم إقامة الاسنان.

والتعليق: خلط الحروف التي ينبغي تفريقها، وإذهاب ما ينبغي إظهار بياضه؛ لما ينشأ عن كلّ منهما عدم التمكن من قراءته غالباً^(١٣).

وأما تحسين الخط وتجويده، فمن معالم إبراز الحق وأيضاحه، وقد ورد عن النبي ص قوله: (الخط الحسن يزيد الحق وضوحاً)^(١٤)، والخط الحسن أفضل ما يتحقق به بيان شكل الحرف، وطريقة رصفه بكل وضوح، ولهذا لم يغفل علماء الحديث من الاهتمام والاعتناء بالكتابة وتوضيحها وبالخط وتحسينه، وقد قال النبي ص أيضاً: (حسن الخط من مفاتيح الرزق)^(١٥).

ب- مراعاة الشكل والتنقيط:

قد يقع الاشتباه والتوهّم في قراءة النص؛ لعدم وضوح الشكل أولوجود الإعجام فيه، وعدم التنقيط، وهذا كثيراً ما يحصل عند المبتدئ، وقد يقع في إشكال عدم فهم النص على الوجه المطلوب، ولا يميّز ذلك إلا علامات الإعراب والحركات، وما يتعلّق بشكل الحرف والكلمة وضبطها، وكذلك مراعاة النقاط على الحروف.

وقد أكّد المحدثون على الاهتمام في ذلك ومراعاته في كتبهم ومصنّفاتهم إذ: (يستحب في الألفاظ المشكلة أن يكرّر ضبطها، بأن يضبطها في متن الكتاب، ثم يكتبها قبالة ذلك في الحاشية مفردة مضبوطة، فإنّ ذلك أبلغ في إبانته، وأبعد من التباسها، وما ضبطه في أثناء الأسطر ربما داخله نقط غيره مشكّله، ممّا فوق وتحت، لا سيّما عند دقة الخط وضيق السطر)^(١٦)، ولا شكّ أنّ هذا أفضل وأضبط لتوثيق النصوص وحفظها بخلاف ما لو كتبت بشكل متداخل النقاط والحروف.

وأما العناية بالنقاط فهي أشدّ وأهمّ ممّا في الحروف، لأنّها في سائر الكلام

المكتوب، وقد يشتهر ويختلف السياق، فلا محيص من ضبطها واتقانها، وقال أصحابنا: (أما النقط فلا بد منه؛ لأنه لا يضبط الأشياء المشكلة إلا به)^(١٧)، وقيل: إن الإعجام نور الكتاب^(١٨).

ثانياً: الإسناد وأثره في توثيق النصوص:

السُّنَدُ لغةً: ما ارتفع من الأرض، والجمع أَسْنَدٌ لا يُكسَّر على غير ذلك، وكُلُّ شيءٍ أَسْنَدَتِ إليه شيئاً فهو مُسْنَدٌ وقد سَنَدَ إلى الشيءِ يَسْنُدُ سُنُوداً واستَنَدَ وتَسَانَدَ وَأَسْنَدَ وَأَسْنَدَ غَيْرَهُ، ويقال: سَانَدَتِهِ إلى الشيءِ فهو يَتَسَانَدُ إليه أيَ أَسْنَدْتُهُ، ومنه: فَلَانٌ سَنَدٌ، أي: معتمدٌ، وَأَسْنَدَ الحديثَ رفعه، والمُسْنَدُ من الحديث ما اتصل إِسْنَادُهُ حتى يُسْنَدَ إلى النبي صلى الله عليه واله وسلم والمرسل والمُنْقَطِع ما لم يتصل والإسناد في الحديث رَفْعُهُ إلى قائله^(١٩).

وأما الإسناد اصطلاحاً: هو طريق المتن، والمراد به رواته^(٢٠).

ولا ريب أنَّ الإسناد هو عمود علم الحديث، لولاه بقيت الأحاديث أخبار لا قيمة لها؛ لأنه أساس توثيق النصوص وإثبات نسبة الأقوال إلى أصحابها، فكتبت المصنّفات وجمعت الأحاديث والأخبار بالأسانيد المتصلة إلى صاحب الكتاب، وعن أبي عبد الله قال: قال أمير المؤمنين (ع) : (إذا حدّثتم بحديث فأسندوه إلى الذي حدّثكم، فإن كان حقاً فلكم، وإن كان كذباً فعليه)^(٢١)، ولقد كان الإسناد عند الإمامية وجميع علماء الحديث الشرط الأول في العلوم المنقولة عن النبي وآل بيته الأطهار حيث تنقل الأحاديث عنه، ينقلها كابر عن كابر، فالسند هو الطريق الموصل إلى المتن، وعُرفت أمة النبي الأكرم بخصيصة الإسناد حيث (لم يكن في أمة من الأمم منذ خلق الله آدم أمة يحفظون آثار الرسل إلا في هذه الأمة)^(٢٢)، ولعل هذه من

الخصائص والدلائل على خاتمة رسالة النبي محمد ص ، وقد أصبح لازماً على رواة الحديث ذكر السند وإلا فلا قيمة للحديث مرسلًا.

وقيل: (الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء)^(٢٣)، وعقب الحاكم النيسابوري على ذلك بقوله: (فلولا الإسناد وطلب هذه الطائفة له وكثرة مواظبتهم على حفظه لدرس منار الإسلام، ولتمكن أهل الإلحاد والبدع فيه بوضع الأحاديث، وقلب الأسانيد، فإن الأخبار إذا تعرت عن وجود الأسانيد فيها كانت بترًا)^(٢٤)، ونقل الحاكم أيضاً بإسناده عن أبي نصر أحمد بن سلام الفقيه: (ليس شيء أثقل على أهل الإلحاد ولا أبغض إليهم من سماع الحديث وروايته بإسناد)^(٢٥).

ثالثاً: الرحلة في طلب الحديث وعلو الإسناد وأثرهما في توثيق النصوص

قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(٢٦).

وعن أمير المؤمنين أنه قال: (أيها الناس اعلّموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به، ألا وإن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال، إن المال مقسوم مضمون لكم، قد قسمه عادل بينكم، وضمّنه وسيفي لكم، والعلم مخزون عند أهله، وقد امرتم بطلبه من أهله فاطلبوه)^(٢٧)، وعن يونس بن يعقوب عن عبد الأعلى، قال: قلت لأبي عبد الله (ع) ان بلغنا وفاة الامام كيف نصنع؟ قال: عليكم النفي، قلت: النفي جميعاً، قال: ان الله يقول (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا) الآية، قلت: نفرنا فمات بعضهم في الطريق، قال: فقال ان الله تعالى يقول ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾^(٢٨).

إنّ الكتاب والسنة الشريفة يؤكّدان على ضرورة الرحلة والسفر في طلب العلم والمعرفة، وإنّ العلم يخزن في صدور الرجال فيفضل البحث عنهم، والوصول إليهم والتزوّد بالعلم، وتحمل الحديث وسماعه (ورحلة العالم في طلبه الازدياد من العلم، والاستعانة على ذلك بالخدام والصاحب، واغتنام لقاء العلماء والفضلاء وان بعدت اقطارهم، وذلك كان دأب السلف الصالح، وبسبب ذلك وصل المرتحلون إلى الخط الراجح، وحصلوا على السعي الناجح، فرسخت لهم في العلوم اقدام، وصحّ لهم في الذكر والاجر والفضل أفضل الاقسام)^(٢٩)، فالرحلة في طلب العلم من الأمور المهمّة للسمع ومشاهدة الرجال، وطلب علو الإسناد والازدياد من الشيوخ، والتثبت والتأكد من الأخبار حيث (أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم، والسبب في ذلك أنّ البشر يأخذون معارفهم وأخلاقيهم وما ينتحلونه به من المذاهب والفضائل: تارة علماً وتعليماً وإلقاءً، وتارة محاكاة وتلقيناً بالمباشرة إلا أنّ حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها)^(٣٠)، ولقد اهتم علماء الحديث في الهجرة والتنقل في طلب العلم.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك الرحلة العلمية لثقة الاسلام الشيخ محمد بن يعقوب الكليني حيث بذل جهداً كبيراً في تأليف كتاب الكافي وظل لمدة عشرين عاماً أو أكثر يجمع أحاديث أهل البيت عليهم السلام في أصول الشريعة وأحكامها وآدابها ويشهد بذلك الثقافة الموسوعية المجموعة في كتاب الكافي بأصوله وفروعه وروضته، ولا شك أنّ قرية صغيرة مثل (كلين) غير كافية بتحصيل مثل هذه الثقافة الموسوعية، لذا فقد دعت الحاجة إلى جمع الأحاديث من أماكن مختلفة واللقاء بالشيوخ وأهل الحديث وطلب علو الإسناد والسعي والهجرة لطلب العلم، وعليه فلم يكتف بعلماء

الحديث بحدود قريته وإنّما طاف البلدان ووصل إلى الكثير من الحواضر الاسلامية وسمع الحديث من مشايخها فقد اتجه إلى الري وقم وأخذ عن مشايخ هذه الحاضرة العلمية فقد حدّث عن أحمد بن ادريس، وعن سعد بن عبد الله الاشعري، وغيرهما، وكذلك حدّث عن بعض مشايخ سمرقند مثل: محمد بن علي الجعفري، وعن مشايخ نيسابور مثل محمد بن اسماعيل النيسابوري، وعن بعض مشايخ همدان مثل: محمد بن علي بن ابراهيم الهمداني وغيرهم الكثير، وبعد أن طاف الكليني بلاد فارس ومراكزها العلمية عزم على الرحلة إلى العراق وإكمال مسيرة البحث وقد استقرّ في بغداد وجعلها محطة للإنطلاق إلى المراكز العلمية الاخرى^(٣١).

رابعاً: المحافظة على النصوص من التصحيف والتحريف والدس

أ- بيان المصطلحات

التصحيف لغة هو (أن يقرأ الشيء على خلاف ما أراد كاتبه أو على غير ما اصطلاحوا عليه)^(٣٢)، والصحيفة قطعة من جلد او قرطاس كتب فيه، والجمع صُحف وصحائف، والتصحيف: تغيير اللفظ حتى يتغير المعنى المراد من الموضع، واصله الخطأ يقال: صحفه فتصحف اي غيّرهُ فتغير حتى التبس^(٣٣).

التحريف لغة: هو التغيير والتبديل ومنه قوله تعالى (يحرفون الكلم عن مواضعه) وهو تغيير الحرف والكلمة عن معناها^(٣٤)، وحرف عن الشيء يحرف حرفاً وانحرف وتحرف واحرورف، وإذا مال الانسان عن شيء يقال تحرف وانحرف واحرورف^(٣٥).

والدس في اللغة: هو كل شيء اخفيته تحت شيء فقد دسسته، ويقال: هذا دسيس قومه: لمن يبعثونه سرا ليأتيهم بالاخبار، فالدس هو الاخفاء^(٣٦)، ويقال دس

نفسه مع الصالحين وليس منهم، واندس: اندفن^(٣٧).

وأما التصحيف في الاصطلاح (أن يقرأ الشيء على خلاف ما أراد كاتبه، أو على ما اصطلاحوا عليه)^(٣٨)، وقيل: هو تغيير في نقط الحروف أو حركاتها مع بقاء صورة الخط^(٣٩).

والتحريف: هو العدول بالشيء عن جهته، وحرف الكلام تحريفاً عدل به عن جهته، وقد يكون في الزيادة فيه أو النقص منه، وقد يكون بتبديل بعض كلماته، وقد يكون بجعله على غير المراد منه، فالتحريف إذن أعم من التصحيف^(٤٠).

والفرق بين التصحيف والتحريف دقيق فإن (كانت المخالفة بتغيير حرف أو حروف مع بقاء صورة الخط في السياق، فإن كان ذلك بالنسبة إلى النقط فالمصحف، وإن كان بالنسبة إلى الشكّل فالمحرف)^(٤١).

والدس في الحديث إدخال ما ليس منه فيه، واخفاؤه على نحو يشبهه ويتوهم كونه جزءاً منه.

وينقسم التصحيف بلحاظ منشأه إلى:

١. تصحيف سمع: ويكون نتيجة لرداءة السمع، حيث تتقارب وتشابه بعض الكلمات من حيث اللفظ ومخرج الحرف.

٢. تصحيف بصر: ويكون نتيجة لعدم وضوح الخط أو قدمه أو عدم وضوح النقط.

وينقسم التصحيف والتحريف بلحاظ وقوعهما إلى:

١. تصحيف وتحريف في السند

٢. تصحيف وتحريف في المتن

ب- الوقاية من التصحيف والتحريف والدس

لقد اتبع المحدثون طرقاً عديدة لتوثيق النصوص وضبطها وحفظها وتجنب

الوقوع بالاشتباه والالتباس أو تعرّض كتبهم إلى الدس والتحريف والتصحيف،
منها:

١. تلقّي الروايات والاحاديث وسماعها من افواه المشايخ الضابطين المتقين
من اهل العلم والتدقيق وضبط النصوص بشكل متقن^(٤٢).

لقد كان الشيخ الصدوق أعلى الله مقامه يخضع مؤلفاته إلى تدقيق وإكمال ما
هو ناقص فنجدّه في الخصال يقول : (وقد أخرجت تفسير هذه الأسماء في كتاب
التوحيد)^(٤٣)، فيما يقول في التوحيد (أخرجته بتمامه في كتاب الخصال)^(٤٤)، وأقوله
أعلى الله مقامه في التوحيد: (وقد أخرجت هذا الحديث مسنداً في كتاب معاني
الأخبار)^(٤٥)، ويقول في إكمال الدين: (وقد أخرجت الخبر مسنداً في كتاب علل
الشرائع والإحكام والأسباب)^(٤٦)، وفي العلل يقول: (وقد أخرجت ما رويته من
الأخبار في هذا المعنى في كتاب إكمال الدين وإتمام النعمة في إثبات الغيبة وكشف
الحيرة)^(٤٧).

٢. عرض الكتب والروايات على أئمة أهل البيت عليهم السلام أو المحدثين
من أهل الضبط والاتقان.

وقد عرض جملة من الأصحاب كتبهم على الأئمة وقد افتوا بصحتها،
ومنّها: كتاب عبيد الله بن علي بن أبي شعبة الحلبي، إذ عرض كتابه على أبي عبد الله
(ع) وصحّحه الامام^(٤٨)، وعن أبي هاشم داود بن قاسم الجعفري قال: (عرضت
على أبي محمد صاحب العسكر عليه السلام كتاب يوم وليلة ليونس فقال لي: تصنيف
من هذا، فقلت: تصنيف يونس مولى آل يقطين، فقال: أعطاه الله بكل حرف نوراً يوم
القيامة)^(٤٩)، وكذلك عُرِضَ كتاب عبيد بن محمد بن قيس البجلي على أبي جعفر
محمد بن علي الباقر عليهما السلام فقال: هذا قول أمير المؤمنين^(٥٠)، (وحدث
أبو محمد هارون بن موسى رحمة الله عليه عن أبي علي الأشعري وكان قائداً من القواد

عن سعد بن عبد الله الأشعري قال: عرض أحمد بن عبد الله بن خانبه كتابه على مولانا أبي محمد الحسن بن علي بن محمد صاحب العسكر الاخير فقرأه وقال: صحيح فاعملوا به^(٥١).

خامسا: التورع في نقل الحديث وأثره في توثيق النصوص:

إن أكثر أصحاب الأئمة كانوا متورعين في نقل الحديث وكتابته والاهتمام بحفظه ومذاكرته، والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر جملة منها:

نقل النجاشي قال الحسين بن عبيد الله رحمه الله: جئت بالمنتخبات إلى أبي القاسم بن قولويه رحمه الله أقرؤها عليه فقلت حدثك سعد، فقال لا، بل حدثني أبي وأخي عنه، وأنا لم أسمع من سعد إلا حديثين^(٥٢).

وقال النجاشي في ترجمة أبي المفضل محمد بن عبد الله الشيباني: سافر في طلب الحديث... كان في أول أمره ثبثا ثم خلط، ورأيت جل أصحابنا يغمزونه ويضعفونه. له كتب كثيرة، منها كتاب شرف التربة، كتاب مزار أمير المؤمنين عليه السلام، كتاب مزار الحسين عليه السلام، كتاب فضائل العباس بن عبد المطلب، كتاب الدعاء، كتاب من روى حديث غدير خم، كتاب رسالة في التقية والإذاعة، كتاب من روى عن زيد بن علي بن الحسين، كتاب فضائل زيد عليه السلام، كتاب الشافي في علوم الزيدية، كتاب أخبار أبي حنيفة، كتاب القلم. رأيت هذا الشيخ وسمعت منه كثيرا، ثم توقفت عن الرواية عنه إلا بواسطة بيني وبينه^(٥٣). وهذا غاية التورع والامانة في النقل.

وقال أيضاً في ترجمة أحمد بن محمد بن عبيد الله الجوهري: رأيت هذا الشيخ، وكان صديقاً لي ولوالدي، وسمعت منه شيئاً كثيراً، ورأيت شيوخنا يضعفونه، فلم

أرو عنه شيئاً وتجنّبته^(٥٤). فتركه الشيخ ولم ينقل عنه الحديث.

وعن حمّاد بن عيسى البصري ، قال: سمعت أنا وعباد بن صهيب البصري، من أبي عبد الله عليه السلام فحفظ عباد مائتي حديث، وقد كان يحدث بها عنه عباد، وحفظت أنا سبعين حديثاً. قال حمّاد : فلم أزل أشكك نفسي حتى اقتصرت على هذه العشرين حديثاً التي لم تدخلني فيها الشكوك^(٥٥).

سادساً: المواظبة على حفظ الحديث وكتابته واثره في توثيق النصوص

نقل الشيخ النجاشي بإسناده عن أبان بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام أن أبان بن تغلب روى عني ثلاثين ألف حديث، فاروها عنه^(٥٦).

إننا نجد هذا العدد الكبير الذي رواه أبان بن تغلب عن الصادق (عليه السلام) يدل على مقدار الاهتمام الكبير في حفظ الحديث وتدوينه من قبل أصحاب الأئمة عليهم السلام، ونلاحظ أبان بن عثمان يطلب الحديث من الامام الصادق فيجيزه بان يروي عن أبان بن تغلب ما رواه عنه عليه السلام، وهذه تعد اقدم اجازة شفوية وصلتنا عن الأئمة.

ومما يدل كذلك على اهتمام الامامية بنقل الحديث وكتابته ومذاكرته ما رواه النجاشي بإسناده عن عن أحمد بن محمد بن عيسى قال خرجت إلى الكوفة في طلب الحديث فلقيت بها الحسن بن علي الوشاء فسألته أن يخرج لي كتاب العلاء بن رزين القلاء وأبان بن عثمان الأحمر فأخرجهما إلي فقلت له: أحب أن تحيزهما لي، فقال لي: يا رحك الله وما عجلتك أذهب فاكتبهما واسمع من بعد، فقلت: لا آمن الحدثان، قال: لو علمت أنّ هذا الحديث يكون له هذا الطلب لاستكثرت منه فإنّي أدركت في هذا المسجد تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد^(٥٧).

الخاتمة

١. بعد استعراض الجهود المبذولة من قبل المحدثين، والإحاطة ببعض تلك الجوانب، نتعرّف على الجهد المتميّز الذي بذله علماء الإمامية في المحافظة على التراث الدينيّ، وضبط المتون الروائيّة بألفاظها وأدائها طبقاً لما تحمّلوه وسمّعه من المعصوم عليه السلام، بل إنّ جهدهم تعدّى ذلك إلى تدوين النصوص، وحفظ المدوّنات ورعايتها، وطلب علوّ الإسناد.

٢. ومن مقتضى البحث الموضوعي أن تكون أصالة اليقين هي الحاكمة في هذه المتون الروائيّة، لا أصالة الشك، بعد ما تبين ذلك الجهد المضني الذي بُذل في جمعها وانتقائها من الأصول المعتمدة والكتب المشهورة؛ نعم هذا لا يعني إهمال القواعد المعتمدة في علم الحديث وعدم الرجوع إليها، بل ينبغي الاعتماد عليها في ذلك.

٣. إنّ هذه المجامع الحديثيّة التي بين أيدينا هي خلاصة ذلك البحث العميق، والتحرّي الدقيق، الذي قام به علماؤنا الأبرار رضوان الله عليهم في التمهّص عن الروايات وجمعها، بل ظهر أنّ الهجرة في طلب الحديث والتنقل بين البلدان، هي العامل الأساس للوصول إلى حديث المعصوم عليه السلام بأقرب الطرق وأعلاها.

٤. اتضح بشكل جليّ كيف حافظ الإمامية على جودة الكتابة، إذ حافظوا عليها في مصنّفاتهم حتى لا يقع الاشتباه والالتباس في قراءتها، وكذلك حسّنوا الخط عند الكتابة واعتبروه من الأمور التي تزيد الحق وضوحاً وبياناً.

٥. لقد تميّز ضبط هذه الكتب وتوثيقها بعرضها على أئمة أهل البيت (عليهم

السلام)، فجملته من كتب الإمامية عُرضت على الأئمة صلوات الله عليهم، واقرّوا بصحة ما فيها، وكذلك عُرضت بعضها على أئمة الحديث من العلماء المتقنين الضابطين.

٦. إنّ أحاديث هذه الكتب توثّق عن طريق الإسناد عبر إيصال الحديث إلى قائله بواسطة سلسلة السند.

٧. لقد كان الكثير من أصحاب الأئمة في غاية الثبّت والتورّع في رواية الحديث ونقله عنهم عليهم السلام، بحيث إذا راوده الشك في حديثه تركه ولم ينقله.

٨. امتاز أصحاب الأئمة بنقلهم عن الرواة الضابطين، فمن خلط وقلّ ضبطه وخف يتركونه ولا ينقلون عنه.

٩. اهتم محدّثوالإمامية بسماع الحديث وحفظه ومذاكرته وتدوينه، وبلغت عنايتهم بذلك أقصى درجاتها.

هذه أهم النتائج التي تمّ التوصل إليها في مضان البحث، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد، وآله الطيبين الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

* هوامش البحث *

(١) ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر :

[٣٦

(٢) ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ

الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر : ٧٤]

(٣) اساس البلاغة، الزمخشري، ج ١، ص ٧٨. مادة: (حدث)

(٤) العين، الخليل، ج ١، ص ٢٠٦، مادة (حدث)

(٥) الصحاح في اللغة، الجوهري، ج ١، ص ١١٧، مادة (حدث)

(٦) لسان العرب، ابن منظور، ج ٢، ص ١٣١، مادة (حدث)

(٧) ظ: اصول الحديث واحكامه في علم الدراية، السبجاني، ت: مؤسسة الامام الصادق، ط ٨،

١٤٣٢، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ص ٢٣٥.

(٨) لسان النحدثين، ج ٥، ص ٥٤.

(٩) مقباس الهداية، المامقاني، ج ٣، ص ٤٩.

(١٠) التكت على مقدمة ابن الصلاح، الزركشي، ج ١، ص ٥٣، تدريب الراوي، السيوطي، ج ١،

ص ٤٨.

(١١) بحار الانوار، العلامة المجلسي، ج ٢، ص ١٥٢.

(١٢) فتح المغيث، العراقي، ص ٢٣٢.

(١٣) شرح نخبة الفكر، ملا علي القاري، ص ٧٩٩.

(١٤) جامع الاحاديث، السيوطي، ج ١٢، ص ٤١٠، رقم الحديث: ١٢١٩٩.

(١٥) آداب المتعلمين، نصير الدين الطوسي، ت: محمد رضا الجلالي، ط ١، ١٤٢٢هـ، مؤسسة

بضعة المختار لأحياء تراث اهل البيت (ع)، ص ١٤٤.

(١٦) المقدمة، ابن الصلاح، ص ١٨٤.

(١٧) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، الرامهرمزي، ج ٢، ص ٤٥٤.

(١٨) م ن، ج ٢، ص ٤٥٤.

(١٩) لسان العرب، ابن منظور، ج ٣، ص ٢٢٠. مادة: (سند)

- (٢٠) ظ: الرعاية، الشهيد الثاني، ص ٥٣.
- (٢١) الكافي، الكليني، ت: دار علوم الحديث، ج ١، ص ١٢٩، كتاب فضل العلم، باب (١٧)، رقم الحديث: ٦.
- (٢٢) فتح المغيث في شرح الفية الحديث، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ط ١، ١٤٠٣ هـ، دار الكتب العلمية، لبنان، ج ٣، ص ٣.
- (٢٣) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ج ١، ص ٧.
- (٢٤) معرفة علوم الحديث، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، ص ١٠.
- (٢٥) م ن، ص ٧.
- (٢٦) التوبة: ١٢٢
- (٢٧) الكافي، الكليني، ت: دار علوم الحديث، ج ٢، ص ٧٣، كتاب فضل العلم، باب ١، رقم الحديث: ٤.
- (٢٨) علل الشرايع، الصدوق، ج ٢، ص ٤٥٣.
- (٢٩) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج ١١، ص ١١.
- (٣٠) المقدمة، ابن خلدون، ص ٣٤٨.
- (٣١) ظ: الكليني، الكافي، ت: دار علوم الحديث، ج ١، ص ٤١-٤٢.
- (٣٢) المغرب في ترتيب المغرب، ابن المطر، ج ٣، ص ٢٣٢، مادة: (صحف).
- (٣٣) ظ: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، ج ٥، ص ١٦٤.
- (٣٤) تاج العروس، الزبيدي، ج ١، ص ٥٧٦٥، مادة: (حرف).
- (٣٥) ظ: لسان العرب، ابن منظور، ج ٩، ص ٤١، مادة: (حرف)..
- (٣٦) ظ: اساس البلاغة، الزمخشري، ج ١، ص ١٣٣، مادة: (دس).
- (٣٧) ظ: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ج ٢، ص ٨٣، مادة: ٠ (دس).
- (٣٨) الجرجاني، التعريفات، ص ٤٧.
- (٣٩) بحوث في المصطلح، ماهر الفحل، ص ٢٦٤.
- (٤٠) تصحيقات المحدثين، العسكري، ج ١، ص ٣٩.
- (٤١) لسان المحدثين، ج ٢، ص ٧٠.

- (٤٢) ظ: الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث، ابن كثير، ص ١٩.
- (٤٣) الخصال، الصدوق، ج ٢، ص ٥٩٤ .
- (٤٤) التوحيد، الصدوق، ص ٤٠٧.
- (٤٥) م ن، ص ٢٠٨.
- (٤٦) إكمال الدين وإتمام النعمة، الصدوق، ص ١٧٧.
- (٤٧) علل الشرائع، الصدوق، ج ١، ص ٢٤٦.
- (٤٨) ظ: الرجال، النجاشي، ص ٢٣٠، رقم: ٦١٢.
- (٤٩) م ن، ص ٤٤٧، رقم: ١٢٠٨.
- (٥٠) ظ: الفهرس، الطوسي، ت: جواد القيومي، ط ٤، ١٤٣٥هـ، نشر الفقاهة، قم، ص ١٧٦، رقم: ٤٧٠.
- (٥١) بحار الانوار، العلامة المجلسي، ج ٨٣، ص ١٤.
- (٥٢) الرجال، النجاشي، ص ١٧٨، رقم: ٤٦٧.
- (٥٣) م ن، ص ٣٩٦، الرقم: ١٠٥٩.
- (٥٤) م ن، ص ٨٥، الرقم: ٢٠٧.
- (٥٥) معجم رجال الحديث، ابوالقاسم الخوئي، ج ٧، ص ١٦٩.
- (٥٦) الرجال، النجاشي، ص ١٢، الترجمة: ٧.
- (٥٧) الرجال، الرجال، ص ٤٠، الترجمة: ٨٠.

* المصادر والمراجع *

أ- المصادر القديمة

- ١- القرآن الكريم
- ٢- الجرجاني، السيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الحنفي (ت ٨١٦هـ). التعريفات، وضع حواشيه وفهارسه، محمد باسل عيون السود، ط ٢، ٢٠٠٣م-١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٣- ابن خلاد، ابو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الفارسي الرامهرمزي (ت ٣٦٠هـ). المحدث الفاصل بين الراوي والراعي، تحقيق: د. محمد عجاج الخطيب، ط ٢، ١٤٠٤هـ، هودار

الفكر، بيروت، لبنان.

٤- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (٧٣٢-٨٠٨هـ). مقدمة ابن خلدون، عبد الله محمد الدرويش، ط ١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، دار يعرب، دمشق، سورية.

٥- الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ). تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، عدد المجلدات ٤٠، ط ١، بدون تاريخ، دار الهداية.

٦- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ). فتح المغيث في شرح الفية للحديث العراقي، ط ١، ١٤٠٣هـ، عدد الاجزاء ٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٧- السيوطي، جامع الاحاديث، تحقيق: عباس أحمد صقر، أحمد عبد الجواد، بدون تاريخ، عدد المجلدات ٢١، دار الفكر، بيروت.

٨- الشهيد الثاني، زين الدين بن علي بن أحمد الشامي العاملي (ت ٩٦٥هـ). الرعاية في علم الدراية، ت: عبد الحسين محمد علي بقال، ط ٢، ١٤٠٨هـ، مطبعة بهمن، الناشر مكتبة اية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدسة، ايران.

٩- الصدوق، محمد بن علي بن موسى بن بابويه القمي، (ت ٣٨١هـ). الخصال، تحقيق: علي اكبر غفاري، ط ١، ١٤٠٣هـ، منشورات جماعة المدرسين، قم، ايران.

١٠- الصدوق (نفسه). التوحيد، ط ٥، ١٤٣١هـ، الناشر طليعة، المطبعة سليمان زاده، قم المقدسة، ايران.

١١- الصدوق (نفسه)، اكمال الدين واتمام النعمة، مؤسسة الامام الهادي (ع)، ط ٢، ١٤٢٦هـ-ق-١٣٨٤هـ. ق، مطبعة اعتماد، قم المقدسة، ايران.

١٢- الصدوق (نفسه)، علل الشرايع، ط ١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

١٣- الطوسي، محمد بن الحسن (٣٨٥-٤٦٠هـ). الفهرست، تحقيق: جواد الفيومي، ط ٤، ١٤٣٥هـ، نشر الفقاهة، قم.

١٤- العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل (تحقيق: ٣٨٢هـ). تصحيقات المحدثين، تحقيق: محمود أحمد ميرة، ط ١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، عدد المجلدات ٣، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، مصر.

- ١٥ - الفراهيدي، الخليل بن أحمد (١٠٠-١٧٥هـ). العين، تحقيق: مهدي المخزومي، ابراهيم السامرائي، ط١، بدون تاريخ، عدد المجلدات ٨، دار ومكتبة الهلال.
- ١٦ - الفيروز ابادي (ت ٨١٧هـ). القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- ١٧ - القاري، ملا علي، (ت ١٠١٤هـ). شرح نخبة الفكر في مصطلح اهل الحديث والاثار، تحقيق: محمد الصباغ، دار الامانة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- ١٨ - الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ). الكافي، دار علوم الحديث، ط٢، ١٤٣٠هـ-١٣٨٨ش، عدد المجلدات ١٥، مطبعة دار علوم الحديث، قم، ايران.
- ١٩ - ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (ت ٧١١هـ). لسان العرب، ط١، بدون تاريخ، دار صادر، بيروت، لبنان.
- ٢٠ - النجاشي، أحمد بن علي (٣٧٢-٤٥٠هـ). الرجال (فهرست اسماء مصنفي الشيعة)، تحقيق: موسى شبيري الزنجاني، ط١٠، ١٤٣٢هـ، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ايران.
- ٢١ - النووي، ابوزكريا يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ). شرح صحيح مسلم، ط٢، ١٣٩٢هـ، عدد الاجزاء ١٨، دار احياء التراث العربي، بيروت.
- ٢٢ - النيسابوري، مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ). صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد، ط١، بدون تاريخ، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

ب- المراجع الحديثة

- ٢٣ - ابوالقاسم الخوئي (السيد). معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، ط١، بدون تاريخ، عدد الاجزاء ٢٤، مؤسسة الامام الخوئي الاسلامية، النجف الاشرف.
- ٢٤ - جعفر سبحاني (الشيخ). اصول الحديث واحكامه في علم الدراية، تحقيق: مؤسسة الامام الصادق، ط٨، ١٤٣٢هـ، مؤسسة النشر الاسلامي، قم.
- ٢٥ - عبد الله المامقاني (١٢٩٠-١٣٥١هـ). مقباس الهداية في علم الدراية، تحقيق: محمد رضا المامقاني، ط١، ١٤٢٨هـ. ق-١٣٨٥هـ. ق، منشورات دليل ما، مطبعة نكارش، قم، ايران.
- ٢٦ - ماهر ياسين الفحل (الدكتور). محاضرات في علوم الحديث، ط١، ٢٠٠٩م، دار مجد

الاسلام، القاهرة، مصر.

٢٧- محمد بن جعفر الكتاني (ت ١٣٤٥هـ). الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، تحقيق: محمد المنتصر، محمد الزمزمي الكتاني، ط ٤، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، دار البشائر الاسلامية، بيروت- لبنان.

٢٨- محمد خلف سلامة. لسان المحدثين (مُعْجَم يُعْنَى بِشَرْحِ مُصْطَلَحَاتِ الْمُحَدِّثِينَ الْقَدِيمَةِ وَالْحَدِيثَةِ وَرَمُوزِهِمْ وَإِشَارَاتِهِمْ وَشَرْحِ جُمْلَةٍ مِنْ مُشْكَلِ عِبَارَاتِهِمْ وَغَرِيبِ تَرَاكِيِبِهِمْ وَنَادِرِ أَسَالِيِبِهِمْ)، عدد الاجزاء: ٥، اعداد: ابواكرم الحلبي، سنة ٢٠١١م، ملتقى اهل الحديث، المكتبة الشاملة.

